وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الزهراء للبنات – كلية التربية
قسم نهج البلاغة/ المرحلة الاولى

المحاضرة

(٨-٩)

التدريسي فواد المياحي

بيعة العقبة الأولى والثانية

العقبة لغةً هي الطريق الوعر في الجبل، وتطلق على كل صعوبة أو مانع، وأصلها من "عَقَبَ" بمعنى آخر الشيء أو النوبة. العقبة لغةً:

الطريق الصعب: الطريق الوعر في الجبل أو المرتفعات.

المشقة: تطلق على الشدائد وما يشق على النفس.

العقبة اصطلاحاً (معانٍ متعددة):

اصطلاحاً، هي العائق الذي يحول دون تحقيق الأمر، أو العقبات النفسية والعملية، وجمرة العقبة هي المكان الذي يرميه الحجاج في منى

العوائق والمصاعب: تطلق على ما يعترض سير العمل، أو يحول دون بلوغ الغاية.

المعنى الديني (جمرة العقبة): موضع مرتفع بمنى يرمي فيه الحجاج الجمرات (جمرة العقبة الكبرى) في يوم النحر.

المعنى التربوي/الروحي: العقبات التي تعترض طريق العبد إلى الله من شهوات وعوارض نفسية (اقتحام العقبة).

ذكر أنه وقعت بيعة العقبة لأهل المدينة، و ذلك أنهم عاهدوا رسول الله (صلّى الله عليه و آله) أن يحفظوه و يحرسوه كما يحفظوا أنفسهم و أن يمنعوه ما يمنعوا أنفسهم، ثم ذهبوا إلى المدينة، فلمّا علم المشركون بهذا الأمر زاد حقدهم و غيظهم، فاجتمع أربعون نفراً **من دهاتهم في دار الندوة** للمشورة و ظهر لهم الشيطان على هيئة شيخ من أهل نجد، فصار رأيهم على أن يختاروا من كل قبيلة رجلاً و يسلّحوه حساماً عضباً ، فيهجموا عليه بغتة و يقتلوه، فيذهب دمه في قريش جميعاً، فلا يستطيع بنو هاشم و بنو عبد المطّلب مناهضة قبائل قريش في صاحبهم، فيتركوا الأمر إلى الدية.

فاجتمعوا في أول ليلة من شهر ربيع الأول حول دار النبي (صلّى الله عليه و آله) ليهجموا عليه ويقتلوه في فراشه، فهبط عليه جبرئيل و أخبره بمكرهم و نزلت هذه الآية المباركة: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ } [الأنفال: ٣٠]

.فأمر أن يبيّت علياً (عليه السّلام)، مكانه و يخرج هو إلى المدينة، فقال (صلّى الله عليه و آله) لعلي (عليه السّلام): «انّ الروح هبط عليّ يخبرني أنّ قريشاً اجتمعت على قتلي و أمرني ربّي أن أهجر دار قومي، و أن أنطلق إلى غار ثور، و انّه أمرني أن آمرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليه أثري، فما أنت قائل و صانع؟» فقال عليّ (عليه السّلام): أو تسلمنّ بمبيتي هناك يا نبيّ الله؟.

قال: نعم، فتبسّم علي (عليه السّلام) ضاحكاً و أهوى إلى الأرض ساجداً شاكراً، فكان أول من سجد لله شكراً، فلما رفع رأسه قال: امض لما أمرت، فداك نفسي، و مرني بما شئت أكن فيه بمشيّتك و ما توفيقي إلّا بالله، ثم ضمّه النبي (صلّى الله عليه و آله) إلى صدره و بكيا معاً، فأخذ جبرئيل يد النبي (صلّى الله عليه و آله) و أخرجه من الدار و قرأ النبي (صلّى الله عليه و آله): {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ } [يس: ٩] .

ونثر التراب على وجوههم و قال: شاهت الوجوه، و ذهب إلى غار ثور، و في رواية أنّه ذهب إلى بيت أمّ هاني و في الصباح ذهب إلى الغار.

أما أمير المؤمنين (عليه السّلام) فإنّه بات تلك الليلة على فراش النبي (صلّى الله عليه و آله) و تغشّى ببرده الأخضر الخضرمي، فأراد المشركون الهجوم في الليل، فمنعهم أبو لهب و قال: إنّ في البيت نساء و أطفالاً، فنحرسه الليلة و نهجم عليه صباحاً، فعندما أصبح الصباح دخلوا الدار، فوثب عليّ (عليه السّلام) في وجوههم، فقالوا له: أين محمّد؟ قال: أجعلتموني عليه رقيباً، ألستم قلتم نخرجه من بلادنا؟ فقد خرج عنكم، فنزلت هذه الآية في حق عليّ (عليه السّلام):

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [البقرة: ٢٠٧].

ومكث رسول الله (صلّى الله عليه و آله) ثلاثة أيام في الغار، ثم خرج في اليوم الرابع إلى المدينة، فحلّ بها في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، في السنة الثالثة عشرة من البعثة، فصارت هذه الهجرة مبدأ تاريخ المسلمين.

وفي السنة الأولى من الهجرة آخى رسول الله (صلّى الله عليه و آله) بين المهاجرين و الأنصار، وجعل علياً (عليه السّلام) أخاه

بيعة العقبة هي بيعتان:

١-بيعة العقبة الأُولى (أو بيعة النساء):

هي أوّل بيعة أخذها رسول الله(صلى الله عليه وآله) من المسلمين الأنصار، الذين أسلموا في المدينة المنوّرة، وهم يزيدون على العشرة، وكانت بيعتهم بمنى على الإسلام.

وقد أخبر عنها عبادة بن الصامت فقال: «بايعنا رسول الله(صلى الله عليه وآله) بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف».

٢- بيعة العقبة الثانية:

حصلت في موسم حجّ السنّة الثلاثة عشرة من البعثة، وذلك أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) خرج إلى الموسم، فلقيه جماعة من الأنصار، فواعدوه العقبة من أوسط أيّام التشريق.

قال كعب بن مالك: «اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلاً، ومعهم امرأتان من نسائهم... فبايعنا وجعل علينا اثنا عشر نقيباً منّا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ثمّ أمر رسول الله(صلى الله عليه وآله) أصحابه بالخروج إلى المدينة، فخرجوا إرسالاً، وأقام هو بمكّة ينتظر أن يُؤذن له»(١).

وكانت مبايعتهم له(صلى الله عليه وآله) على أن يمنعوه وأهله ممّا يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم، وأن يؤوهم وينصروهم، وعلى السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يقولوا في الله، ولا يخافوا لومة لائم.

اسباب العقبة الأولى

يقول المؤرخون :

إنه حينما عاد أولئك النفر المدنيون الذين أسلموا إلى المدينة ذكروا لأهلها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ، ودعوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

حتى إذا كان العام المقبل أي في السنة الثانية عشرة من البعثة ، وافى الموسم اثنا عشر رجلا اثنان منهم أوسيان ، والباقون من الخزرج ، فالتقوا مع الرسول «صلى الله عليه وآله» في العقبة ، وبايعوه على بيعة النساء ، أي البيعة التي لا تشتمل على حرب ، أي :

«على أن لا يشركوا بالله شيئا ، ولا يسرقون ، ولا يزنون ، ولا يقتلون أولادهم ، ولا يأتون ببهتان يفترونه من بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يعصونه في معروف ، فإن وفوا فلهم الجنة وإن غشوا من ذلك شيئا فأمرهم إلى الله عز وجل ، إن شاء عذب ، وإن شاء غفر».

ولما رجعوا إلى المدينة أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقري ، وألحقه بابن أم مكتوم (١) كما قيل.

وأقام مصعب أول صلاة جمعة في المدينة!!. وقد نجح مصعب ، ومن معه ممن أسلم في الدعوة إلى الله تعالى ، وأسلم سعد بن معاذ ، الذي كان السبب في إسلام قومه بني عمير بن عبد الأشهل ، حيث إنه حين أسلم على يد مصعب رجع إلى قومه ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعرفون أمري فيكم؟

قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نفسا وأمرا.

قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

قال : فو الله ، ما أمسى في دار قبيلة بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ، أو مسلمة (٢) ، فأسلموا كلهم في يوم واحد ، (إلا عمرو بن ثابت ، فإنه تأخر إسلامه إلى أحد ، فأسلم ، ثم استشهد قبل أن يسجد لله سجدة واحدة ، كما قيل).

وأقام مصعب بن عمير يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى أسلم الرجال والنساء من الأنصار باستثناء جماعة من الأوس ، اتبعوا في ذلك أحد زعمائهم ، الذي تأخر إسلامه إلى ما بعد هجرة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» (٣).

ولنا هنا وقفات ، فلنقف أولا مع :

دعوة سعد بن معاذ قومه :

إن الدعوة إلى الله ليست مختصة بالأنبياء والأوصياء بل هي شاملة لكل مكلف بحسب ما يملك من طاقات وقدرات.

وهي من الأمور التي يلزم بها العقل الفطري السليم ، ويوجبها على كل إنسان ، ولا تحتاج إلى جعل شرعي ؛ فإن العقل يدرك أن في ارتكاب المنكرات ، وترك الواجبات ، والانحراف في الفكر والعقيدة والسلوك ضررا جسيما على المجتمعات وعلى الأجيال ولذلك فهو يحكم بلزوم الدعوة إلى الالتزام بالخط الفكري الصحيح ، وترك المنكر ، وفعل المعروف.

وهذا هو ـ بالذات ـ ما يفسر لنا اندفاع سعد بن معاذ في الدعوة إلى الله تعالى ، حتى إنه على استعداد لقطع كل علاقة مع قومه إذا كانوا ضالين منحرفين.

وقد جاء القرآن مؤيدا لحكم العقل والفطرة هذا ؛ ففرض على كل من كان له بصيرة في أمر الدين أن يدعو إلى الله ، قال تعالى : (قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)(٤).

كما أنه لا بد أن نشير أيضا : إلى أن من عرف الحق ، وذاق حلاوة الإيمان ، فإنه لا يملك نفسه من الاندفاع في محاولة لجلب الآخرين نحو هذا الحق ، وجعلهم يؤمنون به ، ويستفيدون منه ، ويلتذون به ويشعرون بحلاوته.

ولذلك نجد الإمام علي بن الحسين «عليه السلام» ، الذي كان يخشى على شيعته ، الذين هم الصفوة في الأمة الإسلامية ، والذين كانوا يتعرضون لمختلف أنواع الاضطهاد ، والبلايا في الدولة الأموية ، وبعدها في الدولة العباسية كان يظهر تذمره من عدم مراعاة الشيعة للظروف والمناسبات ، وهو يرى حدة اندفاعهم نحو إظهار أمرهم ، **بسبب شعورهم بحلاوة الإيمان** ، وضرورة إبلاغ كلمة الحق ، قال الإمام السجاد «عليه السلام» : «وددت أني افتديت خصلتين في الشيعة ببعض لحم ساعديّ : النزق وقلة الكتمان» (٥).

والحمدلله رب العالمين وصلى الله على محمد واله اجمعين...

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥١ و ١٥٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩ وفيه أن الواقدي ذكر أن ابن أم مكتوم إنما قدم المدينة بعد بدر بقليل ، وفي كلام ابن قتيبة أنه قدم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين. ثم جمع الحلبي بين الأقوال باحتمال : أن يكون قد علّم أهل المدينة ثم عاد إلى مكة ، ثم عاد فهاجر بعد بدر .. وهو احتمال وجيه لا بأس به.

(٢) راجع ما تقدم : في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٧٩ ـ ٨٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٩٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٨٤.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٨٤ وراجع تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٩٠ والسيرة لابن هشام ج ٢ ص ٧٩ ـ ٨٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤.

(٤) الآية ١٠٨ من سورة يوسف.

(٥) سفينة البحار ج ١ ص ٧٣٣ والبحار ج ٧٥ ص ٦٩ و ٧٢ عن الخصال ج ١ ص ٢٤ والكافي ج ٢

(٦) الآية ٢٩ من سورة الحج.

(٧) راجع : السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩ والتعليق المغني (مطبوع بهامش سنن الدار قطني) ج ٢ ص ٥ عن الطبراني في الكبير والأوسط.

١ـ بحار الأنوار ١٩ /٢٤

من كتاب: منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل / للمؤلف: الشيخ عباس القمي